

*Research Article*

## **Intertextuality of the Quran in the Travelogue of Lasan al-Din Ibn al-Khatib A Case Study of "Al-Taif Danger in Winter and Summer Travel"**

Zeynab veisi marantooi<sup>1</sup>, Alireza Baqer<sup>2\*</sup>, Seyyed Babak Farzaneh<sup>3</sup>

### **Abstract**

Artistic use of Quranic verses in the fabric of verse or prose literature; In addition, the strengthening of the semantic layers of the word leads to the beautification of the visual space from the reader's point of view. In this regard, Andalusí writer; Ibn al-Khatib's language separates the elements of revelation from their historical situation with a special skill and recreates them in the text of the linguistic structures of his travelogues with a special style. Among the travelogues of Ibn al-Khatib, the travelogue "Khatret al-Taif fi Rehlat al-Shitta wa Al-Saif" has a special style. This work is not just a descriptive report of the author's observations and geographical perspectives; Rather, it is a rich source of knowledge of the condition of human families and sociology, which has sometimes been written as the basis of the revelation of the Word of God. In this essay, we aim to analyze the descriptive literature of Ibn al-Khatib in his travelogue "Khatreta al-Taif fi Rehlat al-Shitaa wa Al-Saif" from the perspective of intertextual relations with the text of the Qur'an as a dominant style. The results of this research show that the author skilfully uses the words, combinations, attributes, similes, metaphors, parables and statements of the Quran in the three ways of reflection, absorption and conversation with the influence of the precious word of God. He has placed himself in the fabric of his speech and has elevated his descriptive literature in a wonderful way; In such a way that the narrative structure of the text of this travelogue is aligned with the timely applications of the Qur'anic verses, in order to present a beautiful picture of the artistic combination of human words with revelation teachings.

**Keywords:** Qur'an, Travelogue, Intertextuality, Ibn Al-Khatib's Language, Khatrat Al-Tif

1. PhD Student, Department of Arabic Language and Literature, Science and Research Unit, Islamic Azad University, Tehran, Iran

2. Assistant Professor of the Department of Arabic Language and Literature, Central Tehran Branch, Islamic Azad University, Tehran, Iran

3. Professor, Department of Arabic Language and Literature, Science and Research Unit, Islamic Azad University, Tehran, Iran

**How to Cite:** veisi marantooi Z, Baqer A, Farzaneh SB., Intertextuality of the Quran in the Travelogue of Lasan al-Din Ibn al-Khatib A Case Study of "Al-Taif Danger in Winter and Summer Travel", Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2025;16(64):99-126.

## مطالعه موردی «حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ»

زینب ویسی ماراتنوبی<sup>۱</sup>، علیرضا باقر<sup>۲</sup>، سیدبابک فرزانه<sup>۳</sup>

### چکیده

کاربرد هنری آیات قرآنی در تار و پود ادبیات منظوم یا منثور؛ افزونبر تقویت لایه‌های معنایی کلام، به زیباسازی فضای بصری در نظرگاه خواننده منجر می‌گردد. در این راستا، ادیب اندلسی؛ لسان‌الدین ابن‌الخطیب با مهارتی ویژه، عناصر کلام وحی را از موقعیت تاریخی خویش جدا می‌نماید و با سبکی خاص، آنها را در متن ساختارهای زبانی سفرنامه‌های خویش، بازآفرینی می‌نماید. در میان سفرنامه‌های ابن‌الخطیب، سفرنامه «حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ» از سبکی ویژه برخوردار است. این اثر، تنها یک گزارش توصیفی صرف از مشاهدات و چشم‌اندازهای جغرافیایی نویسنده نیست؛ بلکه منبعی غنی از علم احوال طوایف بشر و جامعه‌شناسی است که گاه به پشتوانه سبک کلام وحی به رشته تحریر درآمده است. در این جستار برآنیم تا به شیوه توصیفی - تحلیلی، ادبیات توصیفی ابن‌الخطیب در سفرنامه «حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ» را از منظر روابط بینامتنی با متن قرآن به عنوان یک سبک مسلط مورد بررسی قرار دهیم. نتایج این پژوهش گویای آن است که نویسنده به شیوه‌های سه‌گانه اجترار، امتصاص و جوار با تأثیر از کلام گران‌سنگ الهی، واژگان، ترکیبات، اوصاف، تشبیهات، استعارات، تمثیل‌ها و گزاره‌های قرآن را با مهارت در تار و پود کلام خویش جانمایی نموده و ادبیات توصیفی خویش را به طرز شگرف تعالی بخشیده است؛ به گونه‌ای که ساختار روایی متن این سفرنامه در پوشش عبارتهای مسجع با کاربردهای به موقع آیات قرآن همسو گشته تا تابلویی زیبا از تلفیق هنری کلام بشری با آموزه‌های وحیانی را فرا روی نگاه خوانندگان قرار دهد.

**واژگان کلیدی:** قرآن، سفرنامه، بینامتنی، لسان‌الدین ابن‌الخطیب، حَطْرَةُ الطَّيْفِ

۱. دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی، واحد علوم و تحقیقات، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران
۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، واحد تهران مرکزی، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران
۳. استاد گروه زبان و ادبیات عربی، واحد علوم و تحقیقات، دانشگاه آزاد اسلامی، تهران، ایران

ارجاع: ويسى مارانتويى زينب، باقر عليرضا، فرزانه سيدبابك، مطالعة موردى «خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّتَاءِ وَ الصَّيْفِ»، دراسات ادب معاصر، دوره ١٦، شماره ٦٤، زمستان ١٤٠٣، صفحات ٩٩-١٢٦.

## التناسق القرآني في كتابة الرحلات لسان الدين ابن الخطيب دراسة "خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" نموذجاً

زينب ويسى مارانتويي<sup>١</sup>، عليرضا باقر<sup>٢</sup>، سيدبابك فرزانه<sup>٣</sup>

### الملخص

إن تطبيق الآيات القرآنية بشكل فني في نسيج الأدب سواء كان منظوماً أو منشوراً وبالإضافة إلى تعزيز الطبقات المعنوية للكلام، يؤدي إلى تجميل الفضاء البصري في نظر القارئ. في هذا السياق، يقوم الأديب الأندلسي لسان الدين ابن الخطيب بمهارة خاصة بفصل عناصر كلام الوحي عن موقعه التاريخي، ويعيد تشكيلها بأسلوب خاص داخل نصوص كتاباته الرحلية. من بين كتب الرحلات لابن الخطيب، يتميز كتاب "خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" بأسلوب خاص. هذا العمل ليس مجرد تقرير وصفي لمشاهدات الكاتب وأفاقه الجغرافية؛ بل هو مصدر غني يعلم أحوال قبائل البشر وعلم الاجتماع، الذي تم تدوينه أحياناً بدعم قوي من كلام الوحي. في هذه الدراسة، نهدف إلى تحليل الأدب الوصفي لابن الخطيب في كتاب "خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" من منظور العلاقات التناسقية مع نص القرآن باعتباره أسلوباً مسلطاً. تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن الكاتب استخدم أساليب ثلاثية: الاجترار، الامتصاص، والحوار، مستفيداً من الكلام الإلهي الثمين، حيث قام بمهارة بدمج المفردات والتركيبات والأوصاف والتشبيهات والاستعارات والعبارات القرآنية ضمن نسيج كلامه، مما رفع أدبه الوصفي بشكل رائع؛ بحيث أصبح الهيكل السردى للنص في هذا الكتاب متماشياً مع العبارات المسجعة واستخدامات الآيات القرآنية في الوقت المناسب، ليقدم لوحة جميلة من الدمج الفني للكلام البشري مع التعاليم الوحيانية أمام أعين القراء.

**الكلمات الرئيسية:** القرآن، كتاب الرحلات، التناسق، لسان الدين ابن الخطيب، خَطْرَةُ الطَّيْفِ

١. طالبة دكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم والأبحاث، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران

٢. أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها، فرع طهران المركزي، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران

٣. أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم والأبحاث، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران

## المقدمة

القرآن هو كتاب سماوي ومعجزة دائمة للرسول (ص)، وتعتبر معانيه ومفاهيمه ذات قيمة عالية، حيث أثرت على حياة البشر من جوانب مختلفة. في هذا السياق، استُخدمت التعاليم القرآنية ومفرداتها وتركيباتها في أدب البلدان الإسلامية المختلفة منذ بداية ظهور الكلام المنثور والمنظوم، وقد كانت مضامين الآيات الإلهية مصدر إلهام لأعمالهم الأدبية. لقد أسهمت الثقافة الإسلامية النقية، تحت رعاية العناية الإلهية وتعاليم القرآن الفريدة، على مدى قرون عديدة في تربية أدياء كانوا كالشمس الساطعة التي أضاءت مجالات اللغة والأدب، وظلّ نظر القراء مشرقاً بدفء وجود أعمالهم المتعددة. لسان الدين ابن الخطيب هو أحد هؤلاء الأدياء، الذي بالإضافة إلى الطبقة الظاهرة من أدب الرحلة، يعبق كلام الوحي من عمق أوصافه.

في مجال كتابة الرحلات، تبقى أربعة أعمال مشهورة لابن الخطيب، وهي: *خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّنَاءِ وَ الصَّيْفِ*، *مُفَاخَرَاتُ مَالِقَةَ وَ سَلَا*، معيارُ الاختيار في ذِكْرِ المَعَاهِدِ وَ الدِّيَارِ، *نُقَاصَةُ الجُرَابِ فِي عِلَالَةِ الأَغْتِرَابِ*. في هذا السياق، تُعتبر طريقة ابن الخطيب المثالية في كتابة رحلته "*خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّنَاءِ وَ الصَّيْفِ*" هي الاستفادة من القرآن. إن انسجام ابن الخطيب ومعرفته العميقة بالقرآن الكريم تجعله يستخدم المفردات والتعبيرات ومضامين الكتاب السماوي كأسلوب مسلط على أدب هذه الرحلة بطريقة جذابة. في هذا العمل، يصف الكاتب مشاهداته ويشير أحياناً إلى الآيات القرآنية، مما يعزز أدبه الوصفي بدعم قوي من كلام الوحي.

## تأثير الآيات القرآنية

النقطة الملحوظة في عنوان الكتاب "*خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّنَاءِ وَ الصَّيْفِ*" هي أن تسمية هذه الرحلة تعتمد بشكل صريح على استخدام الكاتب للآية (٢) من سورة قريش: *(إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشُّنَاءِ وَ الصَّيْفِ)*. بالإضافة إلى ذلك، يمكن رؤية تأثير ابن الخطيب من الألفاظ والتعبيرات ومضامين الآيات القرآنية في جميع أنحاء هذا العمل الوصفي بوضوح، وأحياناً تأتي هذه التأثيرات بدقة تتطلب نظرة ثاقبة وفهماً عميقاً.

## الأسلوب الأدبي

في الأدب الوصفي لكتاب "*خَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشُّنَاءِ وَ الصَّيْفِ*"، ينسجم ابن الخطيب مع كلام الوحي وفقاً لرؤيته الذهنية، مما يجعل أدبه مفعماً بعطر الكلام الإلهي. إن وجود عناصر لغة القرآن في هذه الرحلة يربط بين أوصافه مع الماضي ويستمر في الثقافة الوحيانية، مما يعكس مجدداً يبقى عبر الزمن دون أي تحريف في جوهر الكلام البشري.

على الرغم من أن مضمون "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" يشبه باقي كتب الرحلات من حيث تقديم التجارب والمشاهدات والأصوات الخاصة بالكاتب، إلا أن ابن الخطيب أحياناً يسعى إلى أن يتصرف بطريقة مختلفة عن الكتاب الآخرين ويصف مظاهر الجغرافيا والثقافة والمجتمع للأراضي التي زارها مستعيناً بالتعاليم القرآنية، مما يضيف لمسة مميزة وأسلوباً فريداً إلى نثره.

### منهج البحث

تقوم منهجية العمل للكتاب في هذه الدراسة على جمع المصادر وتدوين الملاحظات، حيث تم تحليل البيانات المتعلقة بالموضوع بشكل وصفي محتوي.

### ضرورة البحث وأهدافه

تتمثل ضرورة إجراء هذه الدراسة، أكثر من أي شيء آخر، في حاجة الباحثين المهتمين في هذا المجال إلى وجود نموذج مناسب لدراسة الهياكل بين النصوص للكاتب وارتباطه العميق بالآيات القرآنية. بناءً على ذلك، تتحقق أهداف هذه الدراسة من خلال دراسة الأساليب المختلفة للإشارة في نثر رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" إلى الاستشهادات القرآنية وتوضيح العلاقة المفاهيمية بين الأدب الوصفي للكاتب وكلام الوحي.

### نظرة على حياة وأعمال لسان الدين ابن الخطيب

محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني؛ المعروف بـ "ذو الوزارتين" ولقب بـ "لسان الدين"؛ هو وزير وطبيب وأديب ومؤرخ وفقه مالكي من الأندلس. (طه ياسين، ٢٠١٣: ٤٥٩)

تعود عائلة ابن الخطيب إلى "السلماني" لأن أصلهم يعود إلى إحدى القبائل القحطانية التي تسكن منطقة سلمان في اليمن. (المقري، ١٣٨٨: ٢٢/٥) هاجرت عائلة ابن الخطيب أولاً إلى الشام، وبعد فتح الأندلس على يد المسلمين في القرن الثاني الهجري، انتقلوا إلى هذه الأرض واستقروا هناك وأصبحوا يعرفون بـ "بني وزير". (ابن الخطيب، ١٣٩٣: ٣/٣٨٦)

وُلد لسان الدين ابن الخطيب عام (٧١٣ هـ) في "لوشة"، وانتقل في طفولته مع والده إلى مدينة "غرناطة" حيث تعلم فيها العلم والأدب (العسقلاني، ١٣٩٦: ١٣/٥). وبما أنه كان بارزاً في النثر والشعر، انضم إلى خدمة السلطان "أبو الحجاج" وعمل في ديوان الإنشاء تحت إشراف "أبو الحسن بن جياب" (ابن خلدون، ١٩٥٩: ٧/٦٨٩). وعندما توفي "ابن جياب"، تولى ابن الخطيب مكانه كـ "كاتب السر" ووزير "أبو الحجاج"، وعلى الرغم من صغر سنه، تولى أيضاً رئاسة الجيش وبيت المال.

بالإضافة إلى ذلك، خلال فترة حكم "أبو الحجاج"، كان ابن الخطيب مسؤولاً عن تعيين موظفي الدولة، ومن خلال ذلك جمع ثروة كبيرة (نفس المصدر: ٦٩٠-٦٨٩) وكان السلطان يرسله مراراً كسفير لدى سلاطين آخرين. (المقري، ١٣٨٨: ١٢/٥)

استند أعداؤه إلى عبارات من كتاب "روضة التعريف" الذي كتبه بأسلوب أهل التصوف، واعتبروه من المذهب الحلولي. وفي النهاية أصدر القاضي حكماً بالزندقة ضد ابن الخطيب وأجبر السلطان "الغني بالله" على تأييد هذا الحكم وإصدار أمر بقتل الوزير السابق. (نفس المصدر: ١٠٠/٧)

كتب القاضي إلى "عبد العزيز"، سلطان المغرب، يطلب منه تنفيذ الحكم، لكن "عبد العزيز" لم يقبل هذا الطلب بل زاد من إكرامه لابن الخطيب. (ابن خلدون، ١٩٥٩: ٦٩٧/٧-٦٩٦). بعد وفاة "عبد العزيز"، نشبت منافسة حول خلافته أدت إلى توتر العلاقات بين المغرب وقرنطبة وفي النهاية إلى وفاة ابن الخطيب عام (٧٧٦ هـ). أما بالنسبة للأعمال التي تركها ابن الخطيب، يجب أن نذكر أن هذا الأديب البارز لم يترك فقط آثاراً في الشعر والنثر والطب؛ بل له أيضاً أعمال كثيرة في التاريخ والسياسة والفقه والتصوف. إن كثرة وتنوع كتاباته مذهلة للغاية. هو نفسه ذكر في كتابه "الإحاطة" أكثر من خمسة وعشرين عنواناً من كتاباته. وقد أضاف المقري الكتابات التي جاءت بعد "الإحاطة"، وبالتالي ذكر حوالي ستين مؤلفاً له (المقري، ١٣٨٨: ١٠١/٧-٩٧). يبدو أن نجاح ابن الخطيب في كتابة هذا الحجم الهائل من الأعمال العلمية؛ رغم انشغالاته الإدارية والسياسية، كان نتيجة لليالي السهر والأوقات الفراغ التي قضى فيها أثناء فترة لجوئه في المغرب. على الرغم من كل التجارب التي كانت لديه في علم الطب، كان يشعر بالعجز عن معالجة أرقه، لذلك استغل عدم نومه كفرصة مناسبة وكتب معظم أعماله ليلاً؛ ولهذا السبب أطلق عليه لقب "ذو العمرين" (نفس المصدر: ٨٠/٥).

### مقدمة موجزة عن رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ"

كما تم الإشارة إليه، في مجال أدب الرحلات، توجد أربعة أعمال مشهورة لابن الخطيب. الرحلة الأولى له، التي تم إجراء هذه الدراسة بناءً عليها، تُدعى "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ". أدب الكاتب في هذه الرحلة هو مزيج من الكلام المنثور والكلام المنظوم؛ بمعنى أن الكاتب بعد وصف دقيق لجغرافيا المدن والجبال والسهول والمناطق التي مر بها، يؤكد نثره بعبارات شعرية. جزء كبير من البنية اللغوية المستخدمة في عنوان هذه الرحلة مستمد من الآية الثانية من سورة قريش، التي تم الإشارة إليها في المقدمة. بشكل عام، يمكن القول إن رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" هي أدب وصفي يبدأ بحمد وثناء إلهي، حيث يضيف الكاتب في نهاية كل قسم من مشاهداته وتوضيح الخصائص الجغرافية وجماليات المناطق التي زارها بيتاً أو بيتين



تأكيداً لكلامه المنشور. تروي هذه الرحلة في الحقيقة قصة سفر عسكري قام به الكاتب برفقة سلطان غرناطة "أبو الحجاج يوسف بن نصر" ورفاقه. كان هدف السلطان ورفاقه من القيام بهذه الرحلة هو أن يقوم القائد مع جيشه بزيارة المناطق الشرقية من حكم "غرناطة"، التي كانت قد سقطت سابقاً تحت سيطرة الأعداء، بعد تحريرها. تتكون بنية رواية "حَظْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" من ركنين أساسيين:

الراوي ← ابن الخطيب / المروي عنه ← السفر

تسعى الذهنية الإبداعية للكاتب بلا توقف على مدى رحلة "حَظْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ"؛ لتقديم الأماكن والأحداث والأفكار والحالات الروحية والنفسية للشخصيات تحت غطاء صور مثالية. إن النظرة الخاصة للكاتب إلى اللغة المجازية، والتجارب المتكررة في استخدام التراكيب اللفظية، وتنوع التعبيرات، واستخدام جمل قصيرة ومقاطع موسيقية في وصف المشاهد، تظهر بوضوح للقراء وتعرض أسلوباً جذاباً أمام أنظارهم. تبدأ رحلة الجنود تحت قيادة "أبو الحجاج" وتنتقل من نقطة البداية؛ أي "غرناطة" في السابع عشر من محرم (٧٤٨ هـ) حيث يعود المسافرون الحربيون بعد عشرين يوماً إلى مقرهم الأول؛ أي "غرناطة"، مروراً بالمدن والمناطق التالية: [وادي آش ← بسطه ← برشانه ← بيراه ← مريه ← بجانه ← مرشانه ← فنيانه ← وادي آش ← غرناطة] بشكل عام، يُظهر التأمل في نص رحلة "حَظْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" أن الكاتب قد استفاد بشكل كبير من العناصر التالية كأبرز التدايب الأسلوبية: اهتمام كبير بالإيجاز والتكثيف، الابتعاد عن الأدب الإشاري والاتجاه نحو الكتابة الإقناعية، الإشارة الموجهة إلى التعبيرات والعبارات القرآنية، تعزيز الأدب الوصفي المنشور بالكلام المنظوم، الإفراط في استخدام المحسنات البديعية؛ خاصة السجع والجناس، الحضور الواسع للصناعات المعنوية؛ مثل التشبيه والاستعارة والكناية، الاستخدام الواسع للصور المتناقضة، سيطرة البنية السردية على أدب الرحلات.

### التنصص القرآن في "حَظْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ"

«أحد المواضيع المهمة والقابلة للتأمل في النقد الأدبي هو تداخل النصوص، والذي يُعبر عنه بـ "التنصص". تشير التنصص إلى أن جميع النصوص تتفاعل مع بعضها البعض بشكل دائم، وهذه التفاعلات تتمثل في نقل المعنى أو اللفظ أو كليهما، من نص إلى آخر، أو من عمل أدبي إلى آخر» (عبد العاطي، ١٩٩٨: ٤).

تم تقديم مصطلح التنصص «في أواخر عقد الستينيات من القرن العشرين بواسطة "جوليا كريستيفا"، الناقدة الفرنسية البلغارية الأصل» (زعبى، ١٩٨٩: ٥٦) وفي الحقيقة «تشير إلى إعادة

إنتاج النص الخفي أو حضوره في النص الحاضر» (موسي، ٢٠٠٠: ٥٥) وتتم بطرق ثلاث تُعرف بقواعد الثلاثية للتناص:

النفي الجزئي أو الاجترار: في هذا النوع من التناص، «يقدم المؤلف جزءاً من النص الغائب في النص الحاضر، ويعتبر النص الحاضر استمرارية لذلك النص الغائب، ولا توجد فيه ابتكارات كثيرة» (عزام، ٢٠٠٥: ١١٦).

النفي المتوازي أو الامتصاص: في هذا النوع من العلاقات البينامية «توجد علاقة وثيقة جداً بين النص الغائب والنص الحاضر؛ بمعنى أن الشاعر أو الكاتب يدمج عبارة قرآنية بنفس التركيب، دون أي تغيير أو مع تغيير طفيف» (زعبى، ١٩٨٩: ٥٦).

النفي الكلي أو الحوار: هذا النوع من العلاقات هو أعلى درجات التناص ويتطلب قراءة عميقة؛ لفهم النص الخفي من خلال نسيج النص الحاضر بذكاء؛ لأن الشاعر أو الكاتب في هذه الطريقة يعيد إنتاج جزء من النص الغائب بشكل كامل؛ بحيث يبدو وكأنه قد استخدمه بشكل مخالف لمعنى النص الغائب» (وعد الله، ٢٠٠٥، ٣٧). بمعنى آخر: في النفي الكلي، لا يوجد أي نوع من التوافق بين النص الحاضر والغائب، واكتشاف التناص لا يمكن أن يتم إلا بفهم الطبقات السفلية للنص (ميرزايي، ١٣٨٨: ٣٠٧).

في هذا السياق، أدى الانسجام مع القرآن الكريم والمعرفة الكافية بثقافة مفرداته إلى أن ابن الخطيب، حسب مقتضيات الكلام وفي المواقف التي يراها مناسبة، يزين أدبه الوصفي في رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" باستشهادات من لغة الوحي. في الواقع، «الآيات المبينة وكلام الرب الواضح بفصاحة وبلاغة لا مثيل لهما؛ مع عبارات عميقة ومفاهيم أنيقة، كانت دائماً زينة لكلام وكتابات الشعراء والأدباء. كما هو الحال في كل بناء ومسجد في الأراضي الإسلامية، تُزين آيات القرآن؛ وفي الأعمال المكتوبة أيضاً تلعب آيات القرآن ومضامينها دوراً عبر الاقتباس والتضمين والتأويل والترجمة أو النقل بالمعنى؛ خاصة الكتاب الذين دائماً ما يعتبرون الآيات الإلهية جوهر كتاباتهم ويعززون مقاصدهم بالاستشهاد بها» (ر.ك: سرمدي وعابدي، ١٣٩٢: ٨٣).

إن التأمل في نص رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" يُظهر أن الأسلوب السائد في هذا العمل الأدبي هو مزيج من عبارات الكاتب الوصفية مع العناصر القرآنية؛ بحيث يتم التأكيد أو توضيح مشاهدات الرحلة من خلال استشهادات بكلام الوحي، مما يُعيد تشكيل عناصر اللغة القديمة داخل نسيج لغوي أكثر حداثة. في هذا السياق، يجب القول إن «علم أسلوب الخطاب هو استخدام طرق تحليل الخطاب في دراسة النصوص الأدبية. هذا النهج الأسلوبي يستخدم طرقاً ومصطلحات تحليل الخطاب لتوضيح استخدام اللغة الأدبية. فائدة نهج تحليل الخطاب هي أنه يمكن عالم الأسلوب من دراسة اللغة في نطاق يتجاوز الجملة. في علم أسلوب تحليل الخطاب،

تُستخدم مفاهيم تتجاوز الجملة، مثل الاستمرارية المعنوية والسياق وفعل الكلام والاستنتاج المعنوي بشكل منتظم لتفسير وتوضيح النص الأدبي» (فتوحى، ١٣٩٠: ١٥٢). في هذا الصدد، تُعتبر ميول ابن الخطيب الذهنية في رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" نحو الربط مع العناصر القرآنية وتحليل وتوضيح توافق كلامه مع جزء من المفردات والعبارات من الكتاب السماوي، أبرز مؤشر أسلوبى يُبرز وصف المواقف الزمنية والمكانية لهذا العمل بطريقة التناسق، مما يضع لغة الكاتب على مستوى يتجاوز الاستخدامات التقليدية للجملة أمام أعين القراء.

تسير الكتابة النظمية لابن الخطيب في رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ"، خطوة بخطوة عبر المناطق التي يمر بها مع رفاقه، بطريقة تشير إلى الفضاء الكلامي بكلمة أو عبارة من القرآن؛ بهدف تعزيز المعنى الدلالي لوصفاته وزيادة فهم القارئ لما شاهده. في سياق النقاش بناءً على قواعد الثلاثية للتناسق، سنذكر ونحلل أهم الأساليب التي تمكن ابن الخطيب من فصل عناصر لغة القرآن عن موقعها الأصلي وتحويلها إلى أسلوب خاص داخل النسيج اللغوي لأدب الرحلات.

### مظاهر الميل إلى أسلوب الاجترار أو النفي الجزئي

كما تم الإشارة إليه، فإن أقل مجال للابتكار لدى الشاعر أو الكاتب في الاستفادة من البيانات القرآنية يظهر في النفي الجزئي أو الاجترار؛ بمعنى أن النص الغائب يُضاف إلى النص الحاضر دون أي تغيير أو تحول، وتكون إبداعية المتحدث محدودة، بحيث تقتصر على الاستفادة الجزئية من القرآن، والتي قد تكون كلمة أو تركيباً أو جملة. بعبارة أخرى، «الاجترار أو النفي الجزئي هو تكرار النص الغائب دون أي تغيير أو تحول، بحيث يُذكر جزء من النص الغائب في النص الحاضر، ويعتبر النص الحاضر في الحقيقة استمرارية للنص الغائب، ولا يوجد فيه ابتكار أو نوعية جديدة» (سالم، ٢٠٠٧: ٥١).

لقد استخدم ابن الخطيب في نص رحلته أسلوب الاجترار أو النفي الجزئي بشكل واسع نسبياً، وسنقوم في ما يلي بدراسة بعض الأمثلة على ذلك:

### التأثر اللغوي

في هذه الطريقة من التأثر، يعتمد المتحدث على استخدام بعض المفردات والتركيبات المستمدة من القرآن الكريم؛ بمعنى أنه يتضمن كلمات وتركيبات في كلامه لها جذور قرآنية، ولو لم يكن هناك قرآن، لما كانت كلماته لتحتوي على تلك المفردات والتركيبات. إن النظر إلى نص رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" يُظهر أن الكاتب كان يعتمد بشكل أساسي على

أسلوب الاجترار أو النفي الجزئي، لأنه دون إجراء تغييرات أو مع الحد الأدنى منها، قام بإدراج تلك المفردات والتركيبات في نصه.

في هذا السياق، عندما يجد ابن الخطيب أثناء مروره عبر مدينة "مريه" الأوضاع المناسبة هناك، فإنه يستخدم التركيب الثلاثي «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» الذي تم أخذه بدون أي تغيير من الآية (٣٨) من سورة يس (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، ويعبر عن ذلك بأسلوب الاجترار أو النفي الجزئي كالتالي: «تِلْكَ الْبَلَدَةُ مُتَنَاسِبَةٌ الْوَضْعِ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٢)

ترجمة: تلك الأرض تتمتع بوضع مناسب بتقدير الله العزيز العليم.

كما نرى، قام الكاتب بإدراج جزء من النص الغائب بنفس اللفظ والمعنى في أبياته؛ لذا فإن عملية التناس في هذا المثال هي من نوع الاجترار أو النفي الجزئي. بالإضافة إلى ذلك، عندما يسافر ابن الخطيب مع رفاقه في وادي "منصورة"، يُسحر بجمال الطبيعة الخلابة هناك. يمشي الكاتب تحت ظلال الأشجار الجنة في هذه المنطقة من جغرافيا الوجود اللامحدود، ويصف وفرة الفواكه اللذيذة والمتاحة بطريقة مشابهة للكلمات والتركيبات التي وردت في القرآن:

«تَتَلَحَّفُ ظِلَالُ وَادِي الْمَنْصُورَةِ - سَمَرِ الْأَنْدِيَّةِ وَسُلْطَانِ الْأُودِيَّةِ-؛ يَا لَهَا مِنْ أَرَائِكَ مُهَدَّلَةٍ السُّجُوفِ، وَجَنَاتٍ دَانِيَةِ الْقُطُوفِ، يَنْسَابُ بَيْنَهَا الْعُدْبُ الرُّلَالُ...» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٥)

ترجمة: لقد جعلنا ظلال وادي منصوره - الذي هو أسطورة لغة الجمع وسلطان الأودية- غطاءً وغطاءً لنا عند الاستراحة؛ فما أجمل الأرائك ذات الستائر المعلقة وما أجمل الحدائق ذات الثمار المتاحة؛ بينما تتدفق بين تلك الحدائق المياه العذبة الزلال.

إن النظر إلى إطار التصوير الفني لابن الخطيب في الأدب أعلاه يُظهر أن الكاتب، بالتوازي مع استخدام تقنياته الأدبية لوصف جغرافيا الطبيعة الخلابة لـ "وادي المنصورة"، وفي نهاية كلامه، يستفيد من الكلمات والتركيبات من الآيتين (٢٢) و(٢٣) من سورة الحاقة (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) و(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) ليمنح هذا المكان طابعاً جنثياً ومثالياً؛ ليظهر جماله في نظر القارئ بما يتجاوز جماليات الدنيا. من الواضح أنه نظراً لأن الكاتب في هذه الصورة حاول رسم فضاء يشبه الجنة لـ "وادي المنصورة" مع قليل من التغيير في ألفاظ القرآن، يمكن اعتبار ذلك تجسيدا لقواعد الاجترار أو النفي الجزئي.

علاوة على ذلك، فإن التجول في الجبال الوعرة لمدينة "بيرة" أصبح موضوعاً لتصوير ابن الخطيب وتناس تقرير مشاهداته مع الأوصاف القرآنية. في العبارة التالية، يتم تقديم الوصف القرآني «السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» بنفس هيكله الأصلي، مما يعكس تأثيراً خاصاً للتأثر اللغوي والترابط

بين النص الحاضر أدب الكاتب والنص الغائب الأوصاف القرآنية بناءً على قاعدة الاجترار أو النفي الجزئي:

«قَطَعْنَا بِيَاضَ الْيَوْمِ فِي نَسْنَمِ جِبَالِهَا، وَالتَّخْبُطِ فِي حِبَالِهَا، نَهْوَى مِنْ شَاهِقٍ إِلَى وَهْدٍ، وَنَحْوَصُ كُلَّ مَشَقَّةٍ وَجُهْدٍ، كَأَنَّنا فِي حُلْمٍ مَحْمُومٍ، أَوْ أَفْكَارٍ مَعْمُومٍ؛ وَلَمَّا طَالَ مَرَامُ الْغُرُوجِ إِلَى جَوْ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، قُلْتُ يَا قَوْمِ انظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ فِيمَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ.» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٦)

ترجمة: قطعنا ضوء اليوم ونحن نتسلق جبالها، ثم انتقلنا من المرتفعات إلى الأودية السفلية وتعرضنا للصعوبة والألم؛ كأننا غارقون في حلم مضطرب أو أفكار حزينة؛ وعندما طال انتظار الصعود مرة أخرى نحو فضاء السماء ذات الأبراج، قلت: يا قومي أيها المسافرون برفقتي انظروا لأنفسكم فيما وقعتم فيه.

كما نرى، استخدم ابن الخطيب التركيب القرآني «السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» الذي يتكون من ثلاثة أجزاء مأخوذة من الآية (١) من سورة البروج (وَاللَّهُمَّ إِنَّ السَّمَاءَ ذَا تِلْ بُرُوجٍ) وأدراجها في نهاية أدبه الوصفي. ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من التناسق هو نوع الاجترار أو النفي الجزئي؛ لأن جزءاً معيناً من النص الغائب قد تم استخدامه في النص الحاضر ولا يُعتبر ابتكار الكاتب بارزاً جداً. إن استخدامه لهذه التركيبة القرآنية كان فقط لتعزيز الإيقاع والثور على قرينة لجعل كلمة الجملة السابقة متناسقة.

### التأثر بالعبارات

المقصود من "العبرة" في هذا السياق هو جملة أو عبارة يمكن أن تكون كاملة أو ناقصة. التأثر بالعبارات يظهر في شكل اقتباس وتضمين مع القليل من التغيير في العبارات أو الجمل القرآنية، وإذا تم استخدام هذه العبارات والجمل بنفس الألفاظ والمعاني الأصلية دون أن تلعب إبداعية الكاتب دوراً في إعادة إنتاجها، يمكن اعتبارها تجسيدا للاجترار أو النفي الجزئي. يجب أيضاً الإشارة إلى أن الاقتباس والتضمين، على الرغم من أنهما يعتبران نوعين مختلفين من التأثر بالعبارات في الكتب البلاغية، إلا أن الروابط التي تظهر بينهما من بعض الجوانب قد قربت مفهومهما؛ بحيث يُعتبر الاقتباس والتضمين متساويين في بعض التصنيفات، ويظهر التعريف لكليهما أنه يمكن إدراج العبارة القرآنية بنفس هيكلها دون أي تغيير أو مع تغيير طفيف. من الجدير بالذكر أن «هذا النوع من الاستفادة من القرآن يتم لأغراض متنوعة مثل: التبرك والتيمّن، التبيين والتوضيح، التعليل والتوجيه، التشبيه والتمثيل، التحذير والتحريض، التزيين والتجميل، الاستشهاد والاستناد، النقطة الدقيقة، فضول الكلام...» (راستكو، ١٣٧٦: ٣٠).

في هذا السياق، عندما يكون ابن الخطيب في صدد وصف صحراء جافة وقاحلة من صحاري مسار سفره، فإنه في نهاية كلامه يستخدم بشكل جزئي العبارة القرآنية «حَيَّةٌ تَسْعَى» بأسلوب

الاجترار أو النفي الجزئي ليصف المكان بأنه معدن للعقارب والثعابين الكثيرة التي تتواجد هناك: «كَانَتْ بُقْعَةً جَدِيَّةً؛ مَعْدِنٌ لِكُلِّ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَحَيَّةٌ تَسْعَى» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٨).

ترجمة: كانت قطعة أرض جافة؛ معدن لكل عقرب يزحف وكل ثعبان يسعى. من الواضح أنه في إدراج عبارة «حَيَّةٌ تَسْعَى» ضمن الكلام السابق، لا يظهر الكثير من الإبداع، وربما تكون فقط قوة تداعي الكاتب قد جعلته يستفيد من الجزء الأخير من الآية (٢٠) من سورة طه (فَأَلْقَاهَا فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) دون أي تغيير في اللفظ والمعنى؛ لذا يمكن اعتبار هذا التأثر بالعبارة تجسيداً لقواعد الاجترار أو النفي الجزئي. في الجزء الأخير من العبارة الشرطية التالية التي كتبها الكاتب لوصف كرم وسلوك أحد القضاة المعروفين، تم اقتباس العبارة القرآنية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) بأسلوب الاجترار أو النفي الجزئي:

«فَإِنْ هَمَّتْ دَيْمَتُكَ وَكَرَمَتْ شَيْمَتُكَ فَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَىٰ» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٢).

ترجمة: إذا أراد مطر متواصل منك وطبعتك كانت كريمة فإنها لمن أحسنوا. كما استخدم الكاتب في نهاية العبارة الساخرة التالية التي تتحدث عن غباء أولئك الذين يمتنعون عن رد شيء لا حاجة لهم به مقابل مكافأة قيمة، العبارة «وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» مستفيداً من الجزء الأخير من الآية (٧١) من سورة البقرة (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) دون أي تغيير في اللفظ والمعنى بأسلوب الاجترار أو النفي الجزئي: «فَقُلْتُ يَا بَنِي الْكَلْبِئَةِ، وَلَوْ جِئْتُمْ بِبَارِي، بِمَاذَا كُنْتُمْ أَجَارِي؛ فَانصَرِفُوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٥).

ترجمة: قلت: يا أبناء اللقيعة! إذا كنتم ستعيدون لي الطائر الجراح الخاص بي، ماذا سأجازيكم؟ عادوا وكانوا قريبين من عدم القيام بذلك. الأغبياء الذين يشير إليهم ابن الخطيب بـ «بَنِي الْكَلْبِئَةِ» هم أولئك الذين يعبرون عن إلحاحهم في التسول ولا يوجد لديهم أي أمل في العطاء.

### مظاهر الميل إلى أسلوب الامتصاص أو النفي المتوازي

في الامتصاص أو النفي المتوازي، الذي يتفوق على الاجترار أو النفي الجزئي، تكون العلاقات الناتجة عن التناسص مصحوبة بقدر من الابتكار من قبل المؤلف، حيث يتم استخدام النص الغائب في النص الحاضر بطريقة لا تتغير جوهره. بعبارة أخرى، «في هذا الشكل من العلاقات التي لها صلة وثيقة بالتناسص، لا يتغير المعنى الأساسي للنص الغائب في النص الحاضر؛ بل، مع مراعاة مقتضيات النص الحاضر ومعناه، يؤدي نفس الدور الذي كان يقوم به في النص الغائب» (سالم،

٢٠٠٧: ٥١). لقد استخدم ابن الخطيب في نص رحلته أسلوب الامتصاص أو النفي المتوازي بأشكال مختلفة، وسنستعرض فيما يلي بعض مظاهره.

### التأثر الأساسي - الإلهامي من الصور الاستعارية

يعتبر القرآن الكريم محورياً للعديد من الأعمال المكتوبة، وخاصة في اللغة العربية. يبدو أن الدافع الأبرز لاستفادة ابن الخطيب من المفردات والتعبيرات القرآنية في نسيج رسالته "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّيْءِ وَالصَّيْفِ" هو توضيح وتزيين أدبه الوصفي - الذي تم تدوينه من مشاهداته خلال رحلاته المختلفة - بجمال جوهر الكلام الإلهي. في الواقع، إن استناد ابن الخطيب إلى الآيات القرآنية هو أسلوب يجذب الجمهور، حيث استخدمه بشكل جيد لتقوية أسس بيانه وتبرير وتحسين حديثه، وقد وضع أساس وصفاته على ذلك. تُسمى هذه الطريقة في الاستفادة بـ "التأثر الإلهامي-الأساسي"، حيث «يستمد المتحدث أساس كلامه من آية ويؤسس كتابته على تلك النقطة المستلهمة» (راستكو، ١٣٧٦: ٤٧).

فيما يتعلق بميل الأدباء إلى التأثر الإلهامي-الأساسي من كلام الوحي، يجب القول إن «القرآن قد استفاد من مجموعة متنوعة جداً من الأساليب البلاغية؛ بحيث لم يكن هناك شيء مشابه في الأدب العربي قبل نزوله؛ وقد جعل هذا الأمر الكتاب السماوي معجزة من حيث الأسلوب والبيان، ولا يمكن لأحد أن ينافسه أو يعارضه. ومن بين الأساليب المذكورة، يمكن الإشارة إلى "الاستعارة" التي استخدمها القرآن الكريم بشكل وفير لتوضيح معانيه ورسالاته، وكذلك لتقريب الموضوع إلى ذهن وفهم المتلقي» (مقدم متقي وآخرون، ١٣٩٧: ١١).

في هذا السياق، يبدأ ابن الخطيب في مقدمة رحلته "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّيْءِ وَالصَّيْفِ" بعد حمد وثناء الذات الإلهية العظيمة، بالتأثر الأساسي من الجوهر المعنوي للحركة من مكان إلى آخر في كلام الوحي، حيث يبرر دافع سفر الإنسان على الأرض وامتثالها باستخدام الأسلوب الاستعاري للقرآن بطريقة الامتصاص أو النفي المتوازي كالتالي: «نَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدَ مُعْتَرِفٍ بِحَقِّهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى عَوَائِدِ فَضْلِهِ وَرَفْقِهِ، الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ ذُلُولاً نَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا، وَنَأْكُلُ مِنْ رِزْقِهِ، ...» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ١٨)

ترجمة: نحمد الله الذي أقر بحقه، ونشكره على عوائد فضله ورحمته، الذي جعل الأرض ذلولاً لنا لنمشي في جوانبها ونأكل من رزقه...

كما يتبين، يبدأ الكاتب رحلته متأثراً بالآية (١٥) من سورة الملك (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ). من الواضح أن دافع الكاتب للإشارة إلى الآية المذكورة في بداية هذه الرحلة يحمل غرضاً بلاغياً وهو تبرك مسار حركته بكلام الوحي. بالإضافة إلى ذلك، قام الكاتب بشكل هادف بإدراج الأسلوب الاستعاري للقرآن للإشارة إلى حركة الإنسان

على سطح الأرض في نضه؛ لأن «الله شبه الأرض بحيوان مروض يُستخدم بسهولة من قبل الإنسان. وبما أن المشبه به محذوف؛ فإن "الأرض" هي استعارة صريحة. بالإضافة إلى الاستعارة، هناك نقاط أخرى ملحوظة في هذه الآية مثل أن تعبير "في مَنَاقِبِهَا" يُظهر مبالغة في ترويض الأرض؛ لأن الحركة عادةً تكون على ظهر الحيوان؛ ولكن عندما تكون الأرض مروضة جداً يمكن السير على كتفيها أيضاً. ومن جهة أخرى، فإن "في" بدلاً من "على" تعبر عن اتساع المرتفعات؛ بحيث يمكن السير بينها كما هو الحال مع الأنفاق الحديثة التي قد تكون أحد أمثلتها» (نوري كذقاني وآخرون، ١٤٠٠: ١٣٦-١٣٥).

من الجدير بالذكر أن "ذُلُول" تعني "رام". في كلام العرب، تُستخدم للإشارة إلى الناقة المروضة التي لا تتسم بالشراسة. أما "مَنَاقِب" فهي جمع "مَنَكَب" وتعني الكتف، وإطلاقها على الأرض هو استعارة. إن ابن الخطيب، عندما يزين بداية أدبه الوصفي بمحتوى الآية المذكورة، يكون له هدف محدد، وهو الرسائل الكامنة في نص الآية؛ بمعنى أن الله قد جعل الأرض مروضة لتسهيل الجهود البشرية عليها.

الرزق من الله تعالى، ولكن للحصول عليه، يجب عدم الاستقرار في مكان واحد؛ بل يتطلب الأمر الجهد والحركة.

استناداً إلى ما سبق، يمكن القول إن «أحد الوظائف الرئيسية للاستعارة هو إثارة انتباه المتلقي؛ بمعنى أنها تجذب انتباه السامع إلى الموضوع وتسبب الحماس والدافع في الشخص، مما يدفعه إلى قبول فكرة أو القيام بعمل أو رد فعل تجاه شيء ما. نظراً لأن الاستعارة غالباً ما تُبنى على أساس القياس والتشبيه والتمثيل، فإن لها قدرة كبيرة على جذب الانتباه وإقناع المتلقي» (فتوحى، ١٣٩٠: ٣٣٧). يبدو أن ابن الخطيب، مع الأخذ في الاعتبار جوهر البلاغة للنص الغائب، قد زين أسلوبه الوصفي في بداية رحلته بالميل نحو قاعدة الامتصاص أو النفي المتوازي وبالأسلوب الاستعاري للقرآن.

علاوة على ذلك، عندما يصل ابن الخطيب إلى مدينة "بيرة" الممطرة خلال رحلته، وبعد يوم من الراحة في تلك المنطقة، يشاهد السماء الصافية والمشمسة هناك. مستفيداً من ذهنه الذي يستحضر الذكريات، يعبر عن توقف المطر هناك بتأثر أساسي من الأسلوب الاستعاري للقرآن بطريقة الامتصاص أو النفي المتوازي كالتالي: «أَرَحْنَا بِهَا يَوْمًا صَحَا فِيهِ الْجَوُّ مِنْ سَكْرَتِهِ وَأَفَاقٌ مِنْ غَمْرَتِهِ؛ فَقَبِلَ لِلنَّفْسِ شَأْنُكَ وَدِمَانُكَ وَيَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ١٩).

ترجمة: قضينا يوماً في تلك المدينة حيث صفا الجو بعد سكرته أي بعد شدة المطر وتحرر من الطغيان؛ فكأنما قيل لأهل تلك المدينة: احفظوا شأنكم ودماءكم أي أرواحكم، وأبها الأرض، ابتلعي ماءك.



كما يتضح، يُعتبر ابن الخطيب في وصفه الأدبي الغني بالأساليب البلاغية أن صفاء السماء من كثافة السحب هو بمثابة اليقظة والاستيقاظ بعد السكر والنوم. وفي نهاية كلامه، مستلهماً بشكل أساسي من الأسلوب الاستعاري للآية (٤٤) من سورة هود (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، يُشير إلى أن هذه اليقظة والاستيقاظ أي توقف المطر وشفاء السماء ناتجة عن أمرٍ للأرض بأن تبتلع المياه الموجودة عليها. من الواضح أنه في استخدام كلمة «ابْلَعِي» للأرض يوجد نوع من الاستعارة التخيلية؛ حيث إن «الأرض» قد تم تشبيهها بكائن حي ولم يُذكر المشبه به لفظياً، ولكن تم ذكر شيء من لوازم المشبه به. يستخدم الله تعالى استعارة «الابتلاع» للدلالة على دخول الماء في الأرض؛ كأن الأرض تمتلك فماً وتبتلع الماء. لقد جعلت جاذبية الأرض هذا الأمر استعارة لوصف الابتلاع، ثم اعتبرت الماء كغذاء للأرض التي تحتاج إلى الماء لتنمية المحاصيل.

بشكل عام، قام ابن الخطيب بتزيين تقرير مشاهداته بكلام الوحي من خلال التأثر الإلهامي - الأساسي بأسلوب البلاغة القرآنية واختيار صورة الاستعارة؛ ليكون بجانب الإشارة إلى ما رآه، يسعى لإقناع معنوي للمتلقي وزيادة تأثير كلامه. ومن الواضح أن هذه الطريقة في الاستفادة من نص القرآن هي النفي المتوازي أو الامتصاص حيث قام ابن الخطيب بإدراج أجزاء من أساليب الاستعارة لكلام الوحي دون أي تغيير أو مع تغيير طفيف في هيكل نصه؛ مما يعني أن بعض الدلالات الاستعارية للنص الغائب تم استخدامها في النص الحاضر وفقاً لمقتضيات النص الحاضر وعلى أساس نفس الدور الذي أدته في النص الغائب.

### التأثر الأساسي - الإلهامي من الصور التشبيهية

بالإضافة إلى التأثر الإلهامي - الأساسي من الصور الاستعارية في القرآن، فإن التشبيهات أيضاً تعد من المجالات الأخرى التي لعبت دوراً في ميل ابن الخطيب للاقتباس من الآيات الإلهامية بأسلوب الامتصاص أو النفي المتوازي. على سبيل المثال، عندما يقطع ابن الخطيب مع رفاقه الطريق الوعر "فحص الأنصار"، يشعر بالفخر بنفسه ورفاقه، وكأن الحضور الظافر لهم في قلعة "شبيرون"، الذي تحقق بعد عبور الصحاري القاحلة والصعبة لفحص الأنصار، أعاد إحياء فترة المجد التي كانت تتمتع بها هذه القلعة في الماضي. يبدو أن هذا المكان من جغرافيا الوجود قد ارتدى مرة أخرى ثوب النصر، وراية الفخر للقيادات ترفرف فوقه. ومع ذلك، لم يغفل الكاتب عن وصف المصاعب والمعاناة التي تعرض لها رفاقه والتي أزعجتهم، وزين أدبه في كتابه الرحلات بدعم قوي من كلام الوحي، حيث شبه الأدوات التي استخدمها المسافرون في رحلتهم بتعبير قرآني «شاخه های کج و خمیده درخت خرما»:

«أَتَيْنَا فَحَصَ الْأَنْصَارَ؛ فَتَجَدَّدَتْ لَهُ مَلَابِسُ الْمُجَادَّةِ، وَتَذَكَّرُ غُهُودٌ مِنْ حَلِّ بِهِ عِنْدَ الْفَتْحِ مِنْ السَّادَةِ؛ لَمَّا حَفَقَتْ بِهِ رَايَةُ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ وَلَمْ تَزَلِ الرِّكَابُ تُفْلِي الْفَلَاةَ فَرَى الْأَدِيمَ، وَأَهْلَةَ السَّنَابِكِ صَبَّرَهَا السَّبِيرَ كَالْعَرَجُونَ الْقَدِيمِ» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٢٧).

ترجمة: دخلنا فحص الأنصار؛ وكان الملابس الفاخرة الماضية قد تجددت له، واستعيدت فترة حكم شخصي أقام هنا عند الفتح؛ أي عندما كانت راية سعد بن عبادَةَ ترفرف في فحص الأنصار، وكانت الجمال لا تزال تعبر الصحراء كما لو كانت قطعاً من الجلد، وكانت أطراف نعل المسافرين تشبه أغصان النخيل الملتوية.

كما يتضح، يشير الكاتب في نهاية الأدب الوصفي أعلاه إلى النعال الهلالية الشكل التي سارت بها المسافرين عبر الطريق الصحراوي "فحص الأنصار"، ويستفيد من الجوهر المعنوي للآية (٣٩) من سورة يس (وَالْقَمَرَ قَدْرُنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) بأسلوب الامتصاص أو النفي المتوازي، حيث يشبه تلك النعال بـ «العرجون القديم»؛ أي غصن التمر الذي انفصل عن الشجرة وبعد فترة أصبح أصفراً وأخذ شكل الهلال.

من الواضح أن تشبيه النعال التي يرتديها المسافرون في أدب ابن الخطيب بـ «العرجون القديم» مستند إلى كلام الوحي وبناءً على قاعدة الامتصاص أو النفي المتوازي من الجوانب التالية:

شكل النعال الهلالي: حيث تميل أطرافها القوسية إلى الأعلى أو الأسفل، مما يذكر بعناقيد التمر مع الأغصان المنحنية، وهو ما تشير إليه عبارة «العرجون».

تهالك النعال: وتأثرها بأشعة الشمس نتيجة السير المتكرر في الصحاري القاحلة، يتناسب مع كلمة «قديم» ويدل على قدمها؛ لأنه كلما تقدمت أغصان شجرة النخيل في العمر، أصبحت أكثر ذبولاً واصفراراً، مما يجعلها تشبه أكثر شكل الهلال. بشكل عام، يمكن القول إن أسلوب ابن الخطيب في كتابة رحلة "حَطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" أحياناً يتجاوز حالة الرتابة والإشارة البسيطة إلى تقرير المشاهدات المعتادة، حيث يعود الكاتب إلى تعاليم التشبيه من كلام الوحي لتأكيد وتعزيز ما يقدمه، بهدف إقناع المتلقي بشكل أكبر.

### التأثر الأساسي - الإلهامي من الصور التمثيلية

في القرآن الكريم، تم التعبير عن مجموعة واسعة من المواضيع في شكل تمثيل. الدافع وراء استخدام هذه التمثيلات هو تقريب المفهوم أكثر إلى ذهن المتلقي. بعبارة أخرى، «من فروع لغة القرآن، لغة التمثيل. المقصود بلغة التمثيل هو التعبير عن الحقائق القرآنية في قالب أدبي وفني. استخدام لغة التمثيل في القرآن يهدف إلى نقل الرسالة إلى المتلقي، والهدف منه هو فهم الحقائق» (صادقي وآخرون، ١٣٩٨: ١٠٢).

أحد مجالات تطبيق أسلوب التمثيل في الكلام المقدس الوحياني يظهر في أدب الرحلات لابن الخطيب أثناء مروره عبر مدينة "بيرة"؛ وهي مدينة جميلة لدرجة أن حتى الأعداء يحسدونها وتأسير أعينهم من مناظرها. في نظر ابن الخطيب، إن حب المدينة "بيرة" قد استقر في قلوب الأعداء لدرجة أن سكانها يخشون في كل لحظة من هجومهم. تُعتبر مدينة "بيرة" في الأدب الوصفي لابن الخطيب ساحة لرعي الإبل ومزرعة واسعة تنمو فيها حبوب "الشعير"؛ المدينة التي يعتقد الكاتب، مستلهماً من الكلام الملوكوتي للوحي وسياقه التمثيلي، أنه إذا كان سكانها شكريين على رحمة الله بالمطر، فإن كل حبة من حبوبها ستنتج سبع سنابل:

«بَلَدَةٌ عَدُوهَا مُتَعَقِّبٌ، وَسَاكِنُهَا خَائِفٌ مُتَرَقِّبٌ، مَسْرَحَةٌ بَعِيرٌ وَمَرْزَعَةٌ شَعِيرٌ، إِذَا شَكَرَتْ الْوَابِلَ، انْبَتَّتْ حَبُّهَا سَبْعَ سَنَابِلٍ.»

(ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٢٥)

ترجمة: مدينة يلاحقها الأعداء؛ وسكانها خائفون ومترقبون؛ مدينة تُعتبر مسرحاً لرعي الإبل ومزرعة لزراعة الشعير؛ مدينة إذا شكر أهلها المطر، فإن حبة الشعير منها ستنتج سبع سنابل.

كما يتضح، يشير ابن الخطيب في العبارة السابقة بعد وصف جمال مدينة "بيرة"، مستلهماً من أسلوب التمثيل في الآية (٢٦١) من سورة البقرة (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، إلى ضرورة شكر الناس ورسم الخير والبركة التي تنتشر نتيجة لذلك الشكر على تلك الأرض. من الواضح أن براعة الكاتب في استخدام هذا النوع من التأثر بين النصوص، حيث تم تحقيقه وفقاً لمقتضيات الكلام ومن خلال إدراج مناسب لإحدى الصور التمثيلية للقرآن في هيكل النص الحالي، يمكن اعتباره تجسيداً للامتصاص أو النفي المتوازي؛ لأن ابن الخطيب في هذا المثال قد وضع هيكل التمثيل القرآني كنموذج وأعرب عن أدبه الوصفي بكلمات تتماشى مع هذه الصورة القرآنية.

بشكل عام، يمكن القول إن أدب الرحلات لابن الخطيب أحياناً يتجاوز مقتضيات الكلام ومن أجل التأثير بشكل أكبر على المتلقي وتجسيد المشاهدات التي قام بها، استمد أسلوبه من تمثيلات القرآن، ويمكن اعتبار هذا الميل تجسيداً لقواعد الامتصاص أو النفي المتوازي في التأثر بين النصوص.

### مظاهر الميل إلى أسلوب الحوار أو النفي الكلي

في الحوار أو النفي الكلي، يتم إدراج جزء من النص الغائب داخل النص الحاضر، بينما يتغير معنى النص الغائب. في الواقع، في هذا النهج من العلاقات الناتجة عن التناص، «يتم استخدام كمية كبيرة من النص الخفي في النص الحاضر، وعادة ما يتم هذا النوع من التفاعل بشكل واضح؛ حيث يدرك القارئ بوضوح وجود النص الغائب فيه» (كريستيفا، ٢٠٠١: ٧٨). لقد استخدم ابن

الخطيب في نص رحلته أسلوب الحوار أو النفسي الكلي بطريقتين: تطبيقي وتلمحي، وسنستعرض فيما يلي مظاهر كلتا الطريقتين.

### التأثر التطبيقي

تتمتع الرحلة في الإسلام بقيمة ومكانة عالية. فقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى «السير في الأرض» أو التجول على وجه الأرض سبع مرات كأحد المصادر الأساسية للمعارف الإسلامية. الخروج من المنزل والوطن بنية السفر له آثار كثيرة، وإذا كانت الدوافع معنوية، فإن فوائده تتضاعف. لاشك أن السفر، بجانب جميع الآثار والمنافع الروحية، يمكن أن يكون مفيداً جداً ونعمة أيضاً. يتم السفر لأسباب متنوعة. في الإسلام، تم التأكيد على بعض الرحلات مثل السفر للتعرف على عظمة وآثار الخلق، والرحلات العبرية، والحج، والرحلات البحثية والدراسية، والسفر للدعوة والترويج للدين، والسفر للتجارة والاقتصاد، وغيرها...

كما جاء في التعبير الجميل للقرآن في سورة الجمعة، للاستفادة من الفضل الإلهي، يجب الانتشار في الأرض واتباع طرق التجارة: (...فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ و...). وفي هذا السياق، قال رسول الله (ص): «سَافِرُوا تَصِحُّوا» (ر.ك: المتقي الهندي، ١٩٩٨: ٧٠/١/٦: ومجلسي، ١٣٨٩: ٢٤٧/٦٢).

عندما يقرر ابن الخطيب السفر ويعتزم مغادرة "غرناطة" برفقة رفاقه، يصف السماء الملبدة بالغيوم والمطر في المدينة بشعور من الحزن والحنين؛ لكنه يتطلع بتفاؤل إلى آفاق الأراضي التي سيضع قدمه فيها قريباً ويستمتع بجمالها. بمعنى أن الكاتب في بداية الطريق الذي يتطلع إلى نهايته يستلهم من كلام الوحي النوراني قيمة السير عبر الجبال والسهول المتعددة باستخدام هذه العبارة القرآنية: «لا يقطعون وادياً إلا كُتِبَ لَهُمْ» ويعتبر نتائج الرحلة التي قام بها ثمرة ومبشرة: «حَرَجْنَا وَصَفْحَةُ الْأَفْقِ بِالْغَيْمِ مُنْتَقِبَةٌ وَأَذْمُعُ السُّحْبِ لَوْدَاعِنَا مُنْسَكِبَةٌ؛ تَتَّبِعُ مِنَ الرَّايَةِ الْحَمْرَاءِ دَلِيلاً هَادِياً، وَنَعْتَرِفُ مِنْ وَجْهَتِنَا الْجِهَادِيَّةِ سَنَاءً بَادِياً وَنَثِقُ بِوَعْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً...» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٢٢)

ترجمة: خرجنا من غرناطة؛ بينما كانت صفحة الأفق مغطاة بسحب بلا مطر وكانت دموع السحب تسقط وداعاً لنا. في تلك اللحظة، كنا نتبع الراية الحمراء كدليل لنا، ونستمد من مسار جهادنا نوراً واضحاً ونثق بوعده الله سبحانه وتعالى حيث يقول: لا يقطعون وادياً...

كما يتضح، يبدأ ابن الخطيب رحلته متأثراً بكلام الوحي ويستخدم أسلوب الحوار أو النفسي الكلي ليعبر عن مشاعره وأفكاره حول السفر.

إن التأمل في العبارة الوصفية أعلاه يُظهر أن ابن الخطيب في بداية كلامه، وبشعور كامل من الحزن وبلحن يعبر عن الأسى، يصور الأجواء الثقيلة للخروج من "غرناطة"؛ حيث تتزامن هذه

الأجواء مع أفق ملبد بالغيوم وممطر، وكأن السماء تبكي وداعه. ومع ذلك، يجد ابن الخطيب في وعد الله للمجاهدين الذي يقول: «إنهم لا يقطعون وادياً إلا كُتِبَ لهم»، ما يُشعره بالراحة، ويعتبر سفره العسكري مع رفاقه ليس أقل من أجر المجاهدين الذين يقطعون الوديان في سبيل الله، ويبدأ رحلته بأمل كبير. من الواضح أن الجزء الأخير من كلام ابن الخطيب مستلهم من الآية (١٢١) من سورة التوبة (وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، مما يدل على تداخل أدب الرحلة للكاتب مع الكلام الإلهي بأسلوب الحوار أو النفي الكلي؛ حيث يتم إدراج جزء من النص الغائب داخل النص الحاضر، بينما يُنسب النص الغائب إلى المجاهدين في صدر الإسلام الذين أصبحوا مسافرين لأداء مهمة عسكرية عبر الجبال والسهول. بشكل عام، إن دافع ابن الخطيب من تفاعله الأدبي مع الآية المذكورة هو توضيح القيمة الروحية للسفر باستخدام الاقتباس التطبيقي من كلام القرآن؛ أي كما أن خطوات المجاهدين في سبيل الله نحو ساحات المعارك تحمل الأجر، فإن سفر ابن الخطيب ورفاقه لن يكون بلا ثواب وسيحظى برضا الله؛ لذلك اختار الكاتب جزءاً من النص الغائب ليضعه في نسج نصه، مُشبهاً القيمة الروحية لسفره وسفر رفاقه بحماسة المجاهدين نحو ميادين الجهاد. كما يمكن اعتبار هذا النهج تجسيداً جميلاً لقواعد الحوار أو النفي الكلي.

علاوة على ذلك، بعد أن قضى ابن الخطيب عدة أيام مع رفاقه في وادي "المنصورة" الأخضر والمعتدل المناخ، يبدأ رحلته نحو مدينة "بيرة"، حيث يخطو في صحراء جافة وقاحلة؛ صحراء جرداء لا تُسقط فيها السحب العقيمة أي مطر. إن الأدب الوصفي لابن الخطيب في الصورة التالية بعد توضيح الظروف السائدة في هذه الصحراء، يستعين بتعبير قرآني «فَارَ التَّنُورُ» ويستخدمه بشكل إبداعي بمعنى مختلف عن المعنى الأصلي للنص الغائب، بأسلوب الحوار أو النفي الكلي، محاولاً توضيح غروب الشمس وتصوير لونها الأحمر مثل لون تنور مشتعلة في جزء من سماء:

«نُمَّ بَدَلْنَا ذَلِكَ الْوَادِي بِالْعَرَاءِ، وَاسْتَقْبَلْنَا أَرْضاً شَبِيهَةً بِالصَّحْرَاءِ مَلَاعِبَ لِلرَّيْحِ، وَمَنَابِتَ لِلسُّدْرِ وَالشَّيْحِ، سَحَبَتْ بِهَا عَيْنُ السَّحَابِ فُضُولَ الدَّيْلِ، وَطَفَّفَ الْعَمَامُ فِي الْكَيْلِ؛ وَعَارَ التَّنُورُ، وَفَارَ التَّنُورُ.»  
(ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٨)

ترجمة: ثم غيرنا مسارنا من ذلك الوادي الأخضر إلى صحراء جافة وغير مثمرة، واستقبلنا أرضاً تشبه الصحراء حيث كانت ملعباً لرياح ونباتات السدر والشَّيْحِ؛ أرضٌ قليلة المطر حيث كانت عيون السحب تسكب فقط فائض دموعها عليها وتقلل من كمية الماء فيها؛ ثم خفت نور الشمس واحمرَّ الغروب كالتنور في عرض السماء.

كما يتضح أن ابن الخطيب بعد وصف جمال مدينة "بيرة"، يستفيد من الأسلوب التمثيلي للآية (٣٩) من سورة يس (وَالْقَمَرَ قَدْرُنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) بأسلوب الامتصاص أو النفي المتوازي.

كما يتضح، بعد أن يصف الكاتب الأجواء الجافة والقاحلة للصحراء التي مر بها، فإنه في نهاية عبارته، يستفيد من التأثير التطبيقي بالعبارة القرآنية «فَارَ التَّنُورُ» ويحول معناها إلى دلالة مختلفة عن دلالة النص الغائب، حيث يفسر جمال السماء عند غروب الشمس وتألّق لونها الأحمر. لا بد من الإشارة إلى أن «فَارَ التَّنُورُ» تعني أن الماء قد انفجر من داخل التنور. وقد ورد هذا التعبير مرتين في القرآن الكريم، وكلاهما يتعلق بقصة طوفان نوح (ع):

(فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ) (مؤمنون/ ٢٧)

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (هود/ ٤٠)

ما يتم مناقشته في هاتين الآيتين هو معنى التنور وجريان الماء من داخله. «كلمة "تنور" فارسية، وقد اقتبسها العرب منها» (قرطبي، ١٣٦٤: ١٠/٣٤). «التنور هو مكان لخبز الخبز. و"فوران التنور" يعني غليان الماء من داخل التنور وانسكابه منه» (طباطبائي، ١٤١٧: ١٠/٢٢٦). يجب أيضاً الإشارة إلى أن هناك آراء مختلفة حول التعبير القرآني «فَارَ التَّنُورُ»؛ لكن المعنى الاستعاري الذي يقصده ابن الخطيب، والذي يدل على إشراق السماء عند الغروب ولونها الأحمر، يختلف عن العديد من تلك الآراء. لذلك، يمكن اعتبار استخدام هذا التعبير تجسيدياً لميول الكاتب نحو قاعدة الحوار أو النفي الكلي، نظراً لأن الهيكل البلاغي للنص الغائب قد اكتسب معنى مختلفاً بناءً على مقتضيات النص الحاضر.

بالإضافة إلى ذلك، عندما يمر ابن الخطيب مع رفاقه عبر وادي "المنصورة"، وفي أثناء مشاهدته للقوارب التي تعبر في مجرى الأنهار، يصف المساجد والأطلال والمزارع هناك، ويستند إلى العبارة القرآنية «يَبُوءُهُمْ حَاوِيَةٌ» - التي تتعلق بالظالمين - ليصف البيوت الخالية من سكانها العاديين الذين عاشوا في هذا الوادي في الماضي. ومن خلال تغيير طبيعة الإشارة في هذه العبارة من الظالمين إلى السكان العاديين وتغيير مرجع الضمير في النص الغائب من «هُمْ» إلى «هَا»، يكتب بأسلوب الحوار أو النفي الكلي كالتالي:

«وَمَرَرْنَا بِوَادِي الْمُنْصُورَةِ الَّتِي نُسِبَ الْوَادِي إِلَيْهَا، وَعَرَضَتْ مَرَاجِبُ نَبَّارَةٍ بَيْنَ يَدَيْهَا وَأَطْلَالَهَا بِالْيَبَةِ، وَبُيُوتُهَا حَاوِيَةٌ خَالِيَةٌ، وَمَسْجِدُهَا بَادِي الْاِسْتِكَانَةِ خَاضِعٌ لِلْبَلْبَى عَلَى سَمَوِ الْمَكَانَةِ.» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٢٨)

ترجمة: ومررنا بوادي المنصورة، حيث يُنسب الوادي إليه، وكانت القوارب تتألق أمامه، وكانت خرائبه قديمة ومهجورة، وبيوته خالية وفارغة، ومسجده رغم مكانته العالية يبدو أنه قد استسلم للقدم.

كما يتضح، في الجزء الأوسط من العبارة الوصفية السابقة، استخدم الكاتب عبارة «بُيُوتُهَا حَاوِيَةٌ» التي تم استخدامها في النص الغائب للإشارة إلى البيوت الخالية من سكان الظالمين بأسلوب الحوار أو النفي الكلي للإشارة إلى البيوت الخالية من المواطنين العاديين الذين عاشوا هناك في الماضي. من الواضح أن الأدب الوصفي للكاتب هنا تأثر بمقطع من الآية (٥٢) من سورة النمل (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ حَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ).

بشكل عام، إن أدب الرحلات لابن الخطيب أحياناً يعتمد على التوافق والتشابه بين مشاهداته وبعض الأوصاف القرآنية التي تعتبر مقولات مختلفة عن بعضها البعض؛ على سبيل المثال، تم تشبيهه سفر القافلة العسكرية التي يسير معها ابن الخطيب بحماسة المجاهدين الذين يسيرون نحو الجهاد، ثم تم نسب الأجر والثواب الذي حدده الله في القرآن لهؤلاء المجاهدين إلى تلك القافلة العسكرية التي عاشت في القرون اللاحقة. بالإضافة إلى ذلك، أحياناً يكون الأساس لتوافق مشاهدات الكاتب هو الاستفادة من البيانات البلاغية للقرآن وتحويلها إلى دلالة تختلف كثيراً عن دلالتها الأصلية في النص الغائب؛ على سبيل المثال، استخدام التعبير القرآني «فَارَ التَّنُورُ» في نص رحلة ابن الخطيب يحمل دلالة مختلفة عن النص الغائب. من الواضح أنه في كلتا الحالتين المذكورتين أعلاه، حيث يظهر مجال الابتكار للكاتب بشكل أكبر ويكتسب النص الغائب انتساباً مختلفاً أو معنى مختلفاً داخل النص الحاضر؛ لذا يمكن اعتباره تجسيداً للحوار أو النفي الكلي.

### التأثر التلميحى

«التلميح في اللغة يعني النظر من زاوية العين، وفي الاصطلاح هو أن يشير الشاعر أو الكاتب إلى آية أو حديث مشهور لدعم قوله» (حلبى، ١٣٩٣: ٥٥).

في التأثر التلميحى، يعتمد ابن الخطيب كلماته على نقطة قرآنية ليقود القارئ إلى ما يريد. على سبيل المثال، بعد أن يغادر مع رفاقه "غرناطة"، يسلك طريق "وادي آش" الوعر ويصل إلى هذه الأرض الجميلة بعد عبور العديد من الممرات. يتزامن دخول المسافرين العسكريين إلى هذه المنطقة مع احتفالات الناس وفرحتهم، وعندما يشاهد ابن الخطيب هذا المشهد الجميل، يتذكر

الجزء من الآية (٥٩) من سورة طه التي تقول: «موعدكم يوم الزينة»، ثم يدمجها في أدبه الوصفي ليقود القارئ إلى الاقتناع بأن:

«وَاسْتَقْبَلْنَا الْبَلَدَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ فِي تَبْرِيْزٍ سَلَبَ الْأَعْيَادَ إِخْتِفَالًا، وَعَصَبَهَا حُسْنُهَا، وَجَمَالَهَا نَادِي بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٢٤).

ترجمة: وذهبنا لاستقبال هذه المدينة وادي آش؛ مدينة يحرسها الله في تميزها في الاحتفال بالأعياد، وقد عُصبت بجمالها، وجمالها ينادي أهل المدينة: موعدكم يوم الزينة.

كما يتضح، عندما يدخل الكاتب إلى أرض "وادي آش" الساحرة، لا يعرف كيف يبدأ ويكون مدهوشاً بجمال هذه المنطقة من جغرافيا الوجود لدرجة أنه يشرع في مدحها. بالإضافة إلى ذلك، فإن المشهد المبهج للاحتفال والفرح في "وادي آش" يثير إعجاب ابن الخطيب بشكل يجعله يتذكر الآية (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحَى)، مما يدفعه، بالاستناد إلى كلام الوحي، لإضفاء طابع روحي على أدبه الوصفي.

من الضروري الإشارة إلى أن «النبي موسى (ع) كان رسولاً قد ذكر القرآن الكريم العديد من قصصه، وقد قدم معجزات متنوعة أمام معارضيه في طريقه لقيادة قومه نحو الكمال والسعادة الأبدية. هذا الطريق كان أحياناً يواجه مقاومة من المعارضين. واحدة من هذه المواجهات كانت بينه وبين فرعون بهدف هدايته، وانتهت هذه المواجهة بعرض معجزة تحويل العصا إلى ثعبان ورفض فرعون قبول الهداية؛ ولكن بما أن فرعون ادعى أن موسى ساحر، طلب منه موعداً لإقامة مسابقة بين سحرة فرعون وموسى. وقد حدد النبي موسى (ع) يوم ووقت المسابقة بعبارة (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحَى)» (روحي برندق، ١٣٩٥: ٣٢). بناءً على ذلك، قام ابن الخطيب بفصل الآية عن سياقها التاريخي؛ وكأنه قد وضع جانباً المعنى المقصود في الآية الذي يدل على تحديد يوم العيد كاليوم الذي يتم فيه الفصل بين الحق والباطل، وفي تلميحته إلى هذه الآية، لم يعد هناك ذكر ليوم الموعد بين موسى (ع) وفرعون وأصبح له دلالة مختلفة عن الماضي؛ لأن الإشارة إلى هذه الآية كانت فقط بسبب أن قافلته نزلت في مدينة تحتفل بأيامها، ووعدهم بالفرح في يوم العيد.

بالإضافة إلى ما سبق، في أدب كتابة الرحلات، تأثر العديد من المسافرين بملابس ومظاهر الناس في البلدان التي سافروا إليها. في هذا السياق، يصف ابن الخطيب في إحدى رحلاته إلى جزء من جغرافيا المشرق شخصية تُدعى "ابن أبي خالد" المعروف بـ "أبو البقاء البلوي"، الذي كان يرتدي أفضل ملابس و يضع عمامة على رأسه، وقد صبغ لحيته بالحناء أثناء مشاركته في مراسم استقبال سلطان غرناطة، أي "أبي الحجاج يوسف الأول". بعد انتهائه من وصف ملابس وسمات "ابن أبي خالد"، يقدم ابن الخطيب غطاءه كرمز لعربي بدوي، ويشير تلميحاً إلى قصة "وليد



مغيرة"، عم "أبو جهل"، الذي شُق أنفه في معركة بدر بسيف علي (ع)، وظل أثر ذلك حتى آخر عمره. ومن خلال ذلك، يسحب المعنى السلبي والموخذ من الوصف القرآني (سَنَسِمُهُ عَلَيَّ الْخُرْطُومَ)، ويعيد تشكيل الفعل ليمنح مضموناً إيجابياً ومفاخرأً، ويضع وصف «تَسِمُهُ عَلَيَّ الْخُرْطُومَ» بأسلوب الحوار أو النفي الكلي في النص الحالي؛ كأن الكاتب يعتبر البداوة علامة بارزة على أنف "ابن أبي خالد".

«وَتَحِينَا الْهَضَابُ وَالْفَجَاجُ الْقَتُورِيَّةَ -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَرَكِبَ قَاضِيهَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَقَدْ شَهَرَتْهُ الزَّرْعَةُ الْجِجَارِيَّةُ، وَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْجِجَارِيَّةِ، وَأَرَمَى مِنَ الْبِياضِ طَلِيلَسَانًا وَصَبَغَ لِحْيَتَهُ بِالْحَنَاءِ وَالكَتْمِ، وَلَا تَعْمَامَتَهُ، وَالْبَدَاوَةَ تَسِمُهُ عَلَيَّ الْخُرْطُومَ وَ..» (ابن الخطيب، ٢٠٠٣: ٣٩)

ترجمة: وتحيننا التلال والوديان في قتورية -حفظها الله-. قاضيها ابن أبي خالد ركب مركبه؛ هو الشخص الذي عُرف بميله إلى الحجاز وكان يرتدي الملابس الحجازية الفاخرة ويضع رداءً أبيض على كتفيه ويصبغ لحيته بالحناء والنيلي، ويلف عمامته حول رأسه، وكانت البداوة كعلامة واضحة على أنفه = الحياة في الصحراء جزء لا يتجزأ من شخصيته. كما يتضح، في هذا الوصف، يستند الكاتب إلى الآية (١٦) من سورة القلم (سَنَسِمُهُ عَلَيَّ الْخُرْطُومَ) ليقدّم البداوة كعلامة واضحة على شخصية معينة؛ وكأن هذه العلامة مثل ختم قد وسم على أنفه وتشهد على أصله ونسبه.

بشكل عام، يمكن القول إن التلميحات القرآنية هي من مظاهر بارزة في أسلوب كتابة الرحلات لابن الخطيب التي تساعد القارئ على فهم نصه؛ بمعنى أن الكاتب أحياناً يحاول إقناع القارئ بالمفهوم المرغوب أو تعميق أدبه الوصفي من خلال الإشارة إلى الآيات القرآنية وتغيير معانيها. ومن الواضح أنه في المثال السابق، حيث أعاد الكاتب صياغة جزء من النص القرآني بطريقة تبدو وكأنها تتعارض مع المعنى الأصلي للنص الغائب، يمكن اعتباره نوعاً من قواعد الحوار أو النفي الكلي في التأثير بين النصوص.

## النتيجة

لقد تأثر لسان الدين ابن الخطيب بطرق مختلفة في نص رحلة "حُطْرَةُ الطَّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّيْءِ وَالصَّيْفِ" بالقرآن؛ ليضمن تقرير مشاهداته بحجة موثوقة من كلام الوحي. النقطة الجديرة بالتأمل في أدب هذه الرحلة هي أن الأدوات البلاغية مثل التشبيه، التمثيل، والاستعارة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمداد الإيديولوجية والمعتقدات الاجتماعية؛ لذلك، يستفيد الكاتب عند وصف المدن، الصحاري، الأودية، الاحتفالات، الأعياد، والناس من التشبيهات، والاستعارات، والتمثيلات، والعبارات، والأوصاف الحسية القرآنية. وأحياناً يوضح القيمة الروحية للسفر وفلسفة حركة الإنسان على الأرض من خلال التبريرات والتلميحات القرآنية. بناءً على ذلك، يمكن القول إن الحضور

الملحوظ للصناعات المعنوية التي تم جمعها من بين مشاهدات ابن الخطيب ودمجها الفني مع عناصر لغة القرآن قد أضفى طابعاً بارزاً على أسلوبه وجعل أسلوب كتابته الرحلات لديه متميزاً عن غيره من الكتاب.

بشكل عام، يمكن القول إن ابن الخطيب قد تمكن من خلال استخدام تقنيات ثلاثية هي الاجترار، الامتصاص، والحوار، من دمج الكلمات، والتركيبات، والأوصاف، والتشبيهات، والاستعارات، والتمثيلات، والعبارات القرآنية بشكل جيد في نصه، مما ساهم في رفع مستوى أدبه الوصفي.

## المصادر و المراجع

### القرآن الكريم

ابن أثير الجزري، مبارك بن محمد (۱۳۶۷)، **النهاية في غريب الحديث و الأثر**، تحقيق: محمود محمد طناحي، قم: مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، الطبعة ۴.

ابن الخطيب السلماني، محمد بن عبدالله (دون تاريخ)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، المجلد ۱، تصحيح محب الدين الخطيب، قاهره، دارالكاتب العربي.

..... (۱۹۵۶)، **أعمال الأعلام**، المجلد ۱، تاريخ اسبانية الاسلامية، تحقيق لوى پرووانسال، بيروت.

..... (۱۳۹۳)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المجلد ۳، تحقيق محمد عبدالله عنان، قاهره.

..... (۲۰۰۳)، **خطرة اللطيف في رحلة الشتاء والصيف**، المحقق: أحمد مختار العبادي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة ۱.

ابن خلدون (۱۹۵۹)، **العبر**، المجلد ۷، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم (۱۴۱۴)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، الطبعة ۳.

پیشوایی علوی، محسن و فردين حسين پناهی (۱۳۹۳)، «تحليل گزاره‌های پرسشی در سورة مؤمنون بر اساس نظرية كُنش كلامي»، **فصلية پژوهشی پژوهشهای ادبی - قرآنی المحكمة**، العدد ۴، مسلسل ۴، صص ۹۳-۶۵.

حلبی، علی اصغر (۱۳۹۳ هـ.ش)، **تأثير قرآن و حديث در ادب فارسی**، طهران: اساطير، الطبعة ۸.

راستگو، محمد (۱۳۷۶)، **تجلّی قرآن و حديث در شعر فارسی**، طهران: سمت.

زعی، أحد (۱۹۸۹م)، **التنصن نظریاً و تطبیقياً عمان: الأردن**، مؤسسه عمریه. الطبعة ۲.

سرمدی، مجید و علی عابدی (۱۳۹۲)، «بررسی مفهومی و ساختاری آیات قرآن در نفقة المصدور»، **فصلية پژوهش - های ادبی - قرآنی المحكمة**، السنة الأولى، العدد ۴، صص ۱۱۲-۸۳.

سالم، سعد الله محمد (۲۰۰۷م)، **مملكة النص**، بيروت: دار الكتب العالمي، الطبعة ۱.

سیفعلی ئی، فاطمه و سید محمدرضا حسینی نیا (۱۳۹۸)، «جلوه‌های بینامتنی آیات قرآن در حکمت‌های اخلاقی نهج البلاغه»، **فصلية پژوهش‌های نهج البلاغه المحكمة**، السنة ۱۸، العدد ۶۳، صص ۱۳۳-۱۰۵.

- صادق، عماد و الآخرون (۱۳۹۸)، «تحليل مباني زبان تمثيلي قرآن»، فصلية پژوهشهای ادبی - قرآنی المحكمة، السنة ۷، العدد ۲، صص ۱۰۷-۸۷.
- طباطبائي، سيد محمد حسين (۱۴۱۷ هـ.ق)، الميزان في تفسير القرآن، المجلد ۱۰، قم: دفتر انتشارات اسلامي، الطبعة ۵.
- الطبرسي، فضل بن حسن (۱۳۶۰ هـ.ش)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مقدّمه محمد جواد بلاغي، المجلد ۵، طهران: فراهاني، الطبعة ۱.
- طوسي، محمد (دون تاريخ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد قصير عاملي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ۵.
- عبد العاطي، كيوان (۱۹۹۸ م)، التناسق القرآني في شعر أمل دنقل، القاهرة: مكتبة النهضة العربية.
- عزام، محمد، (۲۰۰۵ م)، تجليات التناسق في الشعر العربي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة ۱.
- العسقلاني، ابن حجر أحمد (۱۳۹۶)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المجلد ۵، حيدرآباد دكن.
- فتوحى، محمود (۱۳۹۰)، سبک شناسی؛ نظريه ها، رويکردها و روش ها، طهران: منشورات سخن، الطبعة ۱.
- فخر رازی، أبو عبدالله (۱۴۲۰)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ۳.
- قرشي، سيد علي اكبر (۱۳۷۸)، تفسير احسن الحديث، المجلد ۱۱، طهران: بنياد بعثت - مركز چاپ و نشر، الطبعة ۳.
- قرطبي، محمد بن احمد (۱۳۶۴)، الجامع لأحكام القرآن، المجلد ۱۰، طهران: ناصر خسرو، الطبعة ۱.
- كرستيفا، جوليا (۲۰۰۱ م)، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء، الطبعه ۱.
- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين (۱۹۹۸)، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، المجلد ۶، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ۱.
- مجلسي، محمد باقر بن محمد تقى (۱۳۸۹)، بحار الأنوار، المجلد ۶۲، دار الكتب الإسلامية، الطبعة ۵.
- مرادى، حجت الله (۱۳۸۴)، اقناع سازى و ارتباطات اجتماعي، طهران: منشورات ساقى، الطبعة ۲.
- مسبوق، سيد مهدي (۱۳۹۲)، روابط بينامتنى قرآن با خطبه هاى نهج البلاغه، فصلية تحقيقات علوم قرآن و حديث، العدد ۲۰، صص ۲۲۴ - ۲۰۵.
- مصطفوي، حسن (۱۳۶۸)، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي، الطبعة ۱.
- مقدم متقى، امير والآخرون (۱۳۹۷)، «مؤلفه هاى زيبايى شناسى استعاره در سبک قرآن: مطالعه موردى سوره هاى يوسف، كهف و طه»، فصلية مطالعات سبک شناختى قرآن كريم، العدد ۱، مسلسل ۲، صص ۳۳-۱۱.
- المقري أحمد (۱۳۸۸)، نفح الطيب، المجلد ۵، تحقيق احسان عباس، بيروت.
- مكارم شيرازى، ناصر (۱۳۵۳)، تفسير نمونه، مجموعة المؤلفين، المجلدين ۲۴ و ۱۸، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- موسى، خليل، (۲۰۰۰)، قراءات فى الشعر العربى الحديث و المعاصر، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- ميرزاى، فرامرز و ماشاء الله واحدى، (۱۳۸۸)، «روابط بينامتنى قرآن با اشعار احمد مطر»، فصلية دانشكده ادبيات و علوم انسانى دانشگاه شهيد باهنر كرمان، العدد، مسلسل ۲۲، صص ۳۲۲ - ۲۹۹.

نوری کیدقانی، مهدی والآخرون (۱۴۰۰)، «تحلیل ساختار لایه‌ای سوره ملک از منظر سبک شناسی»، فصلیه مطالعات سبک‌شناختی قرآن کریم، السنة ۵، العدد ۲، مسلسل ۹، صص ۱۴۱-۱۲۳.  
وعد الله، لیدیا (۲۰۰۵)، التناص المعرفی شعر عزّالدين المناصر، دار المندلاوی، الطبعة ۱.

#### COPYRIGHTS

© 2025 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

**ارجاع:** ویسی ماراتوبی زینب، باقر علیرضا، فرزانه سیدبابک، التناص القرآنی فی کتابة الرحلات لسان الדיن ابن الخطیب دراسة "حَطْرَةُ الطُّيْفِ فِي رِحْلَةِ الشَّتَاءِ وَ الصَّيْفِ" نموذجاً، دراسات الأدب المعاصر، السنة ۱۶، العدد ۶۴، الشتاء ۱۴۴۵، الصفحات ۱۲۶-۹۹.